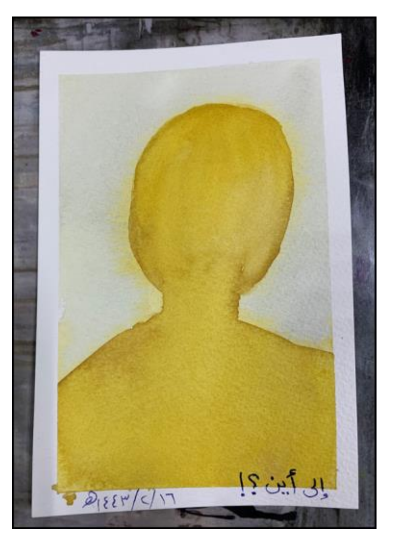
قصة قصيرة: إلى أين ؟!

حلمي صابر

7 جمادى الآخرة 1435 الموافق 7-4-2014م



أفاقَ درويش من نومه، ورأى نفسه بلا قدمين و يدين مندهشا !. كل أطرافه ليست بجسمه. بقي بمفرده ! فكر مليًّا ماذا حدث !؟ أهذا حلم !؟ وفيما كان يتساءل سمع حركة تحت سريره ذي الأربعة الأعمدة الخشبية. لم يستطع أن يتحرك من فراشه؛ وكيف له أن يتحرك بلا قدمين، اضطر أن يزحف بجسمه بقدر ما استطاع وأطلَّ برأسه أسفل السرير. فكانت المفاجأة: أنه وجد يديه وقدميه يتحدثون بهمس وبصوت خافت؛ سمع همسهم ولم يتبين حقيقة كلامهم.

نظر إليهم بتعجب وعتاب وصرخ بهم: ما هذا ؟! كيف تركتموني لوحدي؟ كيف ساغ لكم ذلك ؟ لأعاقبنكم عقابا شديدًا وصرخ بهم وعيناه تتسعان وصوته مرتجفا : تعالوا ارجعوا لجسمي. خرجت القدمان من تحت السرير، واتجهت إليه وهو ممددا على السرير ، تاركة أظافرها عند اليدين وقالت له: قررنا جميعا تركك، ولا نريدك، ولا نريد البقاء معك، وواصلت القدم اليمنى: تعبنا معك كثيرا. ونخاف أن نتعب أكثر يوم القيامة بدخولنا النار بسببك .

فأنت لا تصلي في المسجد، ولا تصلي في البيت أيضا ومع أنه لا يسوغ لك أن تصلي في البيت بدون عذر. وكم مرة جاءت العينان تشتكي وتبكي لنا مما تفعله بها على الشاشات، وشهدت على ذلك أذناك.

اخرسي تبا لك ما كان ينقصني إلا هذا قدم بلا أظافر تأمرني بالصلاة قال الرجل مغضبا للقدمين: أنا حر ولا أريد أن أصلي هيا تعالي التصقي بجسمي وكرَّر أمره بصراخ وزعيق عالٍ: قلتُ لك تعالي. حسنا إذا أنت حر ! فنحن أحرار أيضا وقد قررنا الانفصال عنك بحريتنا وإرادتنا، وهذه فرصة لن نضيعها وركلت القدم الهواء أسمعت لن نرجع إليك مهما فعلت وهددت!

الرجل: أنت قدمٌ حمقاء.

شكرا لك اعتدت هذا منك الشتم.

تعالي أريد أن أذهب إلى دورة المياه.

لا لن أجيء.

فصرخ على القدم بأصابعها الجرداء، قلت لك تعالي. لا .... لا ... لن أجيء، فالتفت يمينا وشمالا لأخذ العلبة الفارغة ليرميه بها. لكنه أدرك أنه بلا يدين. فنادى بصوت عالٍ : يا يد ... يا يد أين أنتِ ؟ تعالي هنا. فجاءت اليدان وكل منهما تقبض صاحبتها مشبكة الأصابع متوترة وعليها الكآبة.

اليدان: نعم، ماذا تريد ؟

أريدك أن ترجعي مكانك.

لا لن أفعل، فأنا لا أريدُ العيش معك؛ فأنت لا تصلي. وربما متَّ على هذا، وإن صرتَ من أهل النار أخذتنا معك.

حسنا لقد اتفقتم على ذلك ! بل كلنا اتفقنا على تركك والتخلص منك. سمعت العينان وتأثر الجفن والرموش من كلام الأطراف، فقفزت من وجهه ؛ فلم يعد يرى!

آه آه عيناي، إنه يوم صعب مع هاته القطع الحمقى. تركتموني لوحدي، وقد أطعمتكم واعتنيتُ بكم كثيرا، حتى صرتم كبارا وها أنتم تتركوني لوحدي.

جاءت الأعضاء حوله مشفقة عليه وشعرت بالرحمة عليه، وقالت له: لأنك أحسنت إلينا كثيرا، فنحن نريد أن نحسن لك أيضا وهو أعظم إحسان وهو أن تدخل الجنة، وندخلها معك أيضا ملتصقين بك.
تبْ إلى الله وارجع فأبواب التوبة مفتوحة، وخذنا إلى المسجد لا نريد أن نتألم في النار. وافِقْ
نرجوك نرجوك. دمعت العينان وهي جالسة على الكرسي، والأذنان نادته بإلحاح أرجوك اسمع لنا.
وأثناء الحوار والجدال، جاء صوت أذان الفجر هادئا من مأذنة مسجد الحي " حي على الصلاة حي على الفلاح ... " فجاءت الأصابع المقصوصة الأظافر وقالت لدرويش : أما علمت بأنَّ من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله وأن سنة الفجر أي ركعتا السنة خير من الدنيا وما فيها كما علمنا القلب.

اقتربت الأعضاء منه ترجوه وبعضها ذرف دمعا وبعضها الآخر دعوا الله أن يفتح على قلبه بالهداية.
نظر إليها بلا عينين، أشفق عليها وأطرق برأسه إلى الأرض. استغلت العينان الفرصة وقفزت إلى وجهه وإحدى اليدين التصقت به وفعلت أحد القدمين نفس الشيء، رفع رأسه وقال: هيا نذهب سويا.
التصقوا به كلهم وعادوا إليه.

سجدت الأعضاء سجدة شكرا لله لرجوع صاحبهم وسيرجعون معه مصلين. فأخذته القدمان بسرعة إلى دورة المياه ووضعت اليدان ثوبا نظيفا عليه بعد خروجه من دورة المياه. والأقدام مسرورة بذهابها إلى المسجد فكم مرة ومرات سمعت الأذان وصاحبها أقعدها البيت. عاشت الآن لحظة رجتها كثيرا. نظرت الذراعان بابتسامة إلى العينين. اقترب من المسجد، دخله فصلى ركعتين وجلس وفتح مصحفا؛ وبكت العينان فلأول مرة رأت القرآن بعد عهد طويل، آخر عهدها به حينما كانتا صغيرتان. أقيمت الصلاة، صفَّ الرجال.

سمع المصلون نحيبا وبكاءً داخله الحزن العميق ولم يعلموا مصدره. لكنكم أنتم تعلمون.
بكت هذه الأعضاء لسماعها القرآن في صلاة الفجر جماعة في المسجد.
ألتفتت الأعضاء إلى نفسها : الآن بدأت حياتنا، وصرنا نعرف إلى أين.

انتهى